

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[88] مصالحهم بسبب يقظة الناس وانتباههم، ويرون الدين مانعاً من عبثهم ومجونهم وشهواتهم، قالوا لنوح بكل صراحة وقحة: نحن نراك في ضلال واضح (قال الملاء من قومه إننا لنراك في ضلال مبين). و"الملاء" تطلق عادة على الجماعة التي تختار عقيدة وفكرة واحدة، ويملاء اجتماعها وجلالها الظاهري عيون الناظرين، لأن مادة "الملاء" أصلاً من "الملء"، وقد استعملها القرآن على الأغلب في الجماعات الأنانية المستبدة ذات المظهر الأنيق والباطن الفاسد الملوث بالأوضاع والشور، والذين يملأون ساحات المجتمع المختلفة بوجودهم. ولقد جابه نوح (عليه السلام) تعنتهم وخشونتهم بلحن هاديء ولهجة متينة تطفح بالمحبة والرحمة، فقال في معرض الرد عليهم: أنا لست بضال، بل لست في أية علامة للضلال، ولكنني مرسل من الله (قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكنني رسول الله من رب العالمين). وهذه إشارة إلى أن الأرباب التي تعبدوها وتفترضون لكل واحد منها مجالا للسيادة والحاكمة، مثل إله البحر، إله السماء، إله السلام والحرب، وما شاكل ذلك، كله لا أساس لها من الصحة، ورب العالمين ما هو إلا الله الواحد الذي خلقها جميعاً وأوجدها من العدم. ثم إن هدي إنما هو إبلاغ ما حملت من رسالة (أبلغكم رسالات ربّي). ولن آلو جهداً في تقديم النصح لكم، وقصد نفعكم، وإيصال الخير إليكم (وانصح لكم). "أنصح" من مادة "نُصَحَ" يعني الخلوص والغلو عن الغش وعن الشيء الدخيل، لهذا يقال للعسل الخالص: ناصح العسل، ثم أطلقت هذه اللفظة على الكلام الصادر عن سلامة نية، وبقصد الخير، ومن دون خداع ومكر. ثم أضاف تعالى (وأعلم من الله ما لا تعلمون).